

روح المعاني

متبحرا في علم اللسان مترقيا منه إلى ذوق العرفان وله في رياض العلوم الدينية أو في مرتع وفي حياضها أصفى مكرع يدرك أعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد فذاك يجوز له أن يرتقى من علم التفسير ذروته ويمتطي منه سهوته وأما من صرف عمره بوساوس أرسطاطاليس وأختار شوك القنافذ على ريش الطواويس فهو بمعزل عن فهم غوامض الكتاب وإدراك ما تضمنه من العجب العجاب وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الطواهر المرادة وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم أعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك إعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر ومن إدعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن إدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب ومما يؤيد أن للقرآن ظاهرا وباطنا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطن لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء .

وقال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وقد قال بعض من يوثق به لكل آية ستون ألف فهم وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال ابن النقيب أن طاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق ومعنى قوله ولكل حرف حد أن لكل حرف منتهي فيما أراده الله تعالى من معناه ومعنى قوله : ولكل حد مطلع أن لكل غامض من المعاني والأحكام مطالعا يتوصل به إلى معرفته ويوقف عن القدر يكفي بعد ذلك في المقصود كما لا يخفى على من لم يركب مطية الجحود المراد به وقيل في رواية لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع والمذكور بوساطة الألفاظ وتأليفاتها وضعا وإفادة وجعلها طرقا إلى إستنباط الأحكام الخمسة هو الظهر وروح الألفاظ أعنى الكلام المعتلى عن المدارك الآلية بجواهر الروح القدسية هو البطن وإليه الإشارة بقول الأمير السابق والحد إما بين الظهر والبطن يرتقى منه إليه وهو

المدرک بالجمعیة من الجمعیة وإما بین البطن والمطلع فالمطلع مكان الأطلاع من الكلام النفسى إلى الأسم المتکلم المشار إليه بقول الصادق لقد تجلى ا[] تعالى فى كتابه لعباده ولكن لا یبصرون والحد بینهما یرتقى به من البطن إليه عند إدراك الرابطة بین الصفة والأسم وإستهلاك صفة العبد تحت تجلیات أنوار صفة المتکلم تعالى شأنه وقیل الظهر التفسیر والبطن التأویل والحد ما تناهى إليه الفهوم من معنى الكلام والمطلع ما یصعد إليه منه فیطلع على شهود الملك العلام إنتهى .

فلا ینبغى لمن له أدنى مسکة من عقل بل أدنى ذرة من إیمان أن ینکر إشمال القرآن على بواطن فیضها المبدأ الفیاض على بواطن من شاء من عباده ویالیت شعری ماذا یصنع المنکر بقوله تعالى وتفصیلا لكل شیء وقوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شیء ویا ا[] العجب کیف یقول بإحتمال دیوان المتنبی وأبیاته المعانى الكثيرة ولا یقول بإشمال قرآن النبی صلی ا[] علیه وآله وسلم وآياته وهو كلام رب العالمین المنزل على خاتم المرسلین على ما شاء ا[] تعالى من المعانى المحتجبة وراء سرادقات تلك المباني سبحانک هذا بهتان عظیم بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء فى لوح الزمان إلا وفى القرآن العظیم إشارة إليها فهو المشتمل على خفايا الملك والملکوت وخبايا قدس الجبروت .

وقد ذکر ابن خلکان فى تاریخه أن السلطان صلاح الدین لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محیی الدین قصیده بائیه